

اللبائن البحرية Marine Mammals

خراف البحر

أ. خروف البحر أو بقر البحر

حيوان ثديي مائي كبير - ويسمى أحياناً بقرة البحر - وينتمي إلى مجموعة الثدييات برتبة الخيلاني مثل حيوان الأطوم البحري. توجد ثلاثة أنواع من خروف البحر أو بقر البحر وهي بقر البحر الهندي الغربي، ويعيش في البحر الكاريبي على طول السواحل الشمالية الشرقية لأمريكا الجنوبية، كما يوجد أيضاً في مياه الشواطئ الجنوبية الشرقية للولايات المتحدة الأمريكية. ثم بقر البحر الأمازوني، ويعيش في أنهار الأمازون والأورنوكو، والنوع الثالث هو بقر البحر الإفريقي *Trichechus senegalensis* الذي يعيش في مياه شواطئ غرب إفريقيا. يُعدّ بقر البحر الهندي الغربي *T. manatus* والأمازوني *T. inunguis* من الحيوانات المهدّدة بالانقراض، وذلك لأنه يتم اصطيادها من أجل اللحم والفرو والزيت. يتغذى خروف البحر بالنباتات المائية في المياه المالحة أو العذبة، وتنقسم شِفَتُهُ العليا إلى نصفين ينطبقان على النبات مثل الكمّاشة. ويمكن لخروف البحر أن يلتهم أكثر من 45 كجم من النباتات المائية في اليوم. وهذه الميزة تمت الاستفادة منها في تنظيف الممرات المائية من الأعشاب والنباتات المائية في غايانا بغربي أمريكا الجنوبية. قد يصل طول خروف البحر مكتمل النمو ما يقارب خمسة أمتار، ويزن نحو 650 كجم. ويمتاز بجلد يتراوح لونه بين الرمادي الفاتح والرمادي الداكن مع وجود شعر قصير وخشن، أما الأرجل الأمامية فهي كالمجاديف. وليس لديه أرجل خلفية، بل ذنّب مستدير فقط. وبقرة البحر معروفة محلياً باسم "عروس البحر"، واسمها العلمي (*Dugong dugon*) وهي تنتمي لفصيلة (Sirenae) مثل بقرة البحر المختلفة قليلاً، والمسماة "ماناتي"، وهي تعيش في بحار أمريكا. وقد كان هناك نوع ثالث يعيش في المحيط الهادئ، ويعرف باسم عالم الطبيعة ستيلر الذي كان عضواً في بعثة استكشافية روسية. وقد حدث أن تحطمت سفينة البعثة عام 1741، فاضطرت للجوء إلى جزيرة بهرينغ طوال فصل الشتاء، واعتاش أفرادها على لحوم بقرة ستيلر *Hydrodamalis gigas* التي كانوا يصطادونها. وتشير السجلات القديمة إلى أن طولها كان يصل لثمانية أمتار، وأن وزنها يناهز ستة أطنان. لكن ذلك النوع ما لبث أن انقرض بعد أقل من أربعة عقود على اكتشافها نتيجة للإفراط في صيدها.

بقر البحر الأفريقي *Trichechus senegalensis*



بقر البحر ستيلر *Hydrodamalis gigas*

يعيش النوع المحلي من بقرة البحر في البحر الأحمر، على طول الساحل الشرقي لأفريقيا، وحول جزر خليج البنغال، وفي أرخبيل مالاي، وكذلك في مولووس امتداداً إلى الفلبين، وحول غينيا الجديدة وصولاً لسواحل أستراليا الشمالية. وبقر البحر حيوان ثديي يعيش في المياه الدافئة ولا يبتعد عن الشواطئ كثيراً كما لا يقترب من مصادر المياه العذبة. أما بقر البحر الأمريكي (الماناتي) *T. manatus* فهو قد يعيش عند مصبات الأنهار عذبة المياه. وبقر البحر بصورة عامة مهدد بالانقراض بسبب الصيد، فلحومه مرغوبة لأنها شهية، والزيت المستخرج من شحومه ثمين لاستخدامه في أغراض "طبية" متعددة. ففي مدغشقر مثلاً، يستخدم مسحوق القواطع العليا علاجاً للمصابين بالتسمم الغذائي، أما شحم فيفيد في علاج الصداع، كما أن نوعاً من شحمه يستخدم مليوناً. يشكل بقر البحر الذي يعيش قبالة سواحل الإمارات واحداً من أكبر تجمعات ذلك الحيوان. أما أكبر تلك التجمعات ففي خليج القرش الأسترالي. وقد أعلنت المناطق البحرية المجاورة لجزيرة مرواح غربي أبو ظبي مؤخراً محمية بحرية لحماية هذه الحيوانات النادرة. وبقر البحر من الثدييات النباتية، ويتراوح طول الواحدة منه 2.5-3.2 متر (وقد يصل 4 أمتار) ويبلغ وزن الحيوان البالغ بين 230-900 كيلوغرام. وخلال تناولها الأعشاب البحرية، تصعد إلى السطح في أوقات غير منتظمة لتنفس. لكنها في المتوسط تنفس مرة كل 3-5 دقائق. وهي تعيش إما وحيدة أو زوجياً أو في قطعان صغيرة تتضمن ما بين 3-6 حيوانات. ويتراوح لون جلدها بين البني الفاتح والرمادي، ويحيط بفتحها شعر قاسي الملمس يفيد في الاستشعار. أما منخريها، فيقعان في قمة الرأس، مما يتيح لها التنفس دونما الحاجة للارتفاع كثيراً عن سطح الماء. يمتاز ذيل بقرة البحر المحلية بوجود ثلم وسط صفحته وفصين جانبيين مدبيين (على عكس الماناتي التي تخلو صفحة ذيلها من الثلم). وطرفاها الأماميين يشبهان الزعانف، ولكنهما طويلان وقليلتا العرض. وجمجمة البقرة هائلة الحجم، لكن حجم دماغها صغير جداً لو قورن بحجم جسمها. وهي تتغذى على الطحالب والعوالق البحرية المختلفة، إضافة للأعشاب البحرية التي تجتثها من جذورها مستخدمة خطمها العريض الذي ينتهي بصفحة متجهة نحو الأسفل وفم يشبه الشق الضيق. تلتهم بقرة البحر البالغة نحواً من 30 كيلوغراماً من أعشاب البحر يومياً، وهي تختار الخضراء منها وتلفظ البنية اللون. ولذكورها قواطع تنمو لتغدو مثل أنياب الفيل. والحقيقة أن بقر البحر يمت بالقرابة لصنفين من الثدييات يبدوان مختلفين تماماً: الفيل وحيوان الوبر الصخري. والأصناف الثلاثة ذات هياكل عظمية متشابهة ولأنثى كل

صنف ثديان بين طرفيها الأماميين (على عكس معظم الثدييات الأخرى). كما أن هناك تشابهاً في السلوك الاجتماعي للأصناف الثلاثة، حيث تعيش في جماعات صغيرة تنزعمها أنثى مسيطرة.



يمتد موسم تزاوج بقر البحر طوال العام، حيث أمكن رؤية عجولها الصغيرة شهرياً في مختلف مراحل التطور. والأنثى لا تلد أكثر من عجل واحد كل حمل يستمر 11-13 شهراً. وتضع الأنثى صغيرها تحت الماء، ثم تنقله على الفور للسطح كي يلتقط أول أنفاسه. ثم تحمله بعدئذ على ظهرها وتتنقل به قريباً من السطح فترة طويلة حتى يتعلم كيف يأخذ أنفاساً طويلة لمدة دقيقة كل مرة. ولا تغفل عين الأم عن صغيرها طوال فترة رضاعته التي تمتد عامين. وعلى الرغم من أن بقرة البحر قد تعيش 50 عاماً، إلا أنه من غير المتوقع أن تلد أكثر من 5-6 عجول خلال حياتها. وبقر البحر هو الحيوان الذي يقف وراء القصص الذائعة حول عرائس البحر. وقد ذكرها لأول مرة في الأدب الغربي المؤلف بلايني، كما لا يستبعد أن تكون الأساس الذي بني هومر عليه أسطورة الأوديسة. وكان البحارة الأوروبيون الأوائل يجلبون معهم حكايات عن عرائس البحر اللواتي شاهدوهن واللواتي

كانت الأم منهن ترضع صغيرها من ثديها، كالنساء، وهي تحتضنه بز عنفتيها. وحيث أن بقرة البحر هي الحيوان البحري الوحيد التي تمتلك ثديين على صدرها، فمن المرجح أن قصص أولئك البحارة إنما كانت تشير إليهن. وفي الواقع، فإن العجل الصغير يرضع مستلقياً بجوار أمه، وعلى ظهره في الغالب. ودراسة حياة ذلك الحيوان ليس بالأمر السهل. فالمياه التي يعيش البقر فيها عكرة في العادة، كما أنه يمزج بين الخجل والاستغراب بطريقة تحبط أية محاولة للمراقبة عن كثب. وقد يقترب أحدها من القارب ويصل إلى بعد 100 متر عنه، ثم يفر بسرعة عند أول حركة، حيث يعينه على ذلك سمعه القوي. وبقر البحر ليس معروفاً بالذكاء، كما أن لديه القليل من الأعداء في الطبيعة. والحيوان متخصص بالحياة في المياه الضحلة، حيث أن قدرته على البقاء مغموراً في الماء محدودة، مثل سرعته وقدرته على التحمل عندما يتعرض للمطاردة. وإذا لاحقه الصيادون، فإنه أعجز من أن يواجه البنادق، أو القوارب البخارية أو شباك الصيد المصنوعة من النايلون.

وعلى الرغم من أن بقر البحر يعيش في جماعات صغيرة تضم الواحدة بين 3 و6 حيوانات، فإن تلك الجماعات تلتقي دورياً لتشكل تجمعاً كبيراً. وقد يرجع ذلك لتنوع مصادر الطعام فصلياً، أو تتركزها في موضع معين، أو لأسباب أخرى لم تكتشف بعد. وقد شوهدت في الخليج العربي تجمعات منه تضم ما يصل إلى 700 حيوان. وتتميز هذه الحيوانات بوجود مشاعر عائلية قوية لديها، كما يظهر من هذا الوصف الذي كتبه ستيلر عام 1751: "إذا طعن أحدها بالرمح الخاص بصيد الحيتان، يندفع رفاقه نحوه محاولين إنقاذه. فبعضهم يشكل دائرة حول الحيوان الجريح في محاولة لإبقائه بعيداً عن الشاطئ. كما لاحظنا أن أحد الذكور أتى إلى الشاطئ على مدى يومين متتاليين حيث كانت بقرة ملقاة حيث قتلت، كما لو كان يأمل أن يجدها حية". هذا التصرف يذكرنا بالكيفية التي تتصرف بها الفيلة عندما يقتل واحد من رفاقها في القطيع، وقد يكون مؤشراً على روح الزمالة المتماثلة لدى أكبر الثدييات البرية وأكبر الثدييات البحرية.